

خطبة بعنوان: أحسن القصص

يوم الجمعة: ٢٠١٠/٠١/١٤٤٢ هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... اشتمل القرآن على أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:٣] وهذه القصص مشتملة على العظة والعبرة والبعد عن أسباب الغفلة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١] فالواجب النظر في هذه القصص والتفكير في معانيها ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦] ففي القصص تثبيت للمؤمنين وتسلية للموحدين وطمأنة للأنبياء والمرسلين ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

أيها المسلمون... ذكر الله عز وجل قصة موسى عليه السلام في القرآن أكثر من مرة لاشتمالها على عبر عظيمة وفوائد جلييلة.

أيها المسلمون... في قصة موسى اليقين بوعد الله بنصر الله للمؤمنين والتمكين للموحدين وجعل العاقبة للمتقين مهما عظمت الكروب واشتدت الخطوب إلا أن العاقبة للتقوى، وتأمل هذا في قول موسى عليه السلام بلسان الواثق بوعد الله تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَمْعِدِينَ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

أيها المسلمون... في قصة موسى الثقة بلطف الله بالمؤمنين، فهو يحفظهم ويصونهم ويحرسهم ويحوطهم فهم يتقبلون في أطافه الخفية وتحت قدرته الكاملة وهيمنته المطلقة، وتأمل هذا لما أمر الله عز وجل أم موسى لما فيه الخوف لكن الله تعالى آمن من الخوف ووعد بالرسالة وبشّر بالنبوة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] ولما أقبل الهم أذهب الله ولما جاء الغم أبعد الله ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] وأخيرًا يأتي قدر الله فيغلب ويحيء أمر الله فيسبق ويتحقق وعده الذي لا يخلف ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

أيها المسلمون... في قصة موسى أن الصلاة سلاح المؤمن وذخيرة الموحد وعدة المسلم وزاد الداعية إلى الله تعالى، ألم تر أن الله تعالى أمر بها موسى عليه السلام في أول رحلته وبداية نبوته ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١-١٢] إلى أن قال سبحانه ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وأمر الله عز وجل بها موسى وقومه فقال سبحانه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] فالؤمن بالصلاة يستقي الطمأنينة والراحة ويستمد القدرة والتمكين وفي ذلك أعظم تسلية للمؤمنين.

أيها المسلمون... في قصة موسى أن الدعاء سلاح المؤمن وسلطان الموحد وملجأ المكروبين ومفرج الخائفين، ألم تر أن موسى عليه السلام دعا ربه وسأله في كل أحواله، ففي حال الذنب والمعصية دعا ربه ﴿فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥-١٦] وفي حال خوف الأعداء ومكيدة الألداء دعا ربه ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١] وفي حال الأمن دعا ربه ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] ولما أعرض الكافرون وجاهر المعاندون دعا ربه ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١].

أيها المسلمون... روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: ((مَا هَذَا؟)) فَقَالُوا: يَوْمُ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِيهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْرًا لِلَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((نَحْنُ أَوْلَىٰ وَأَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ)) فَصَامَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((لَنْ بَقِيَتْ

إلى قابل لأصومن التاسع)) فيشرع للمسلم ان يصوم يوم عاشوراء ويصوم اليوم التاسع معه، ويستحب للمسلم إن قدر أن يصوم شهر الله المحرم كله إن تيسر له ذلك أو أكثره أو ما تيسر منه، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: **((أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ صِيَامَ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ)).**

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن الله أمركم بامرٍ بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.